

الإيجابية في القرآن الكريم- تأملات في سورة يس

Positivity in the Holy Quran - Meditations in Surah Yassin

د. منصور علي سالم ناصر العمراني*

جامعة الحديدية- اليمن، mansor20069@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/07/31

تاريخ القبول: 2021/02/18

تاريخ الاستلام: 2020/11/10

الملخص:

يهدف البحث إلى بيان مفهوم الإيجابية من خلال التدبر في آيات سورة يس، والتي من خلالها نتعرف على القيم الإيجابية التالية:

- الإيجابية التربوية - الإيجابية الدعوية المتمثلة في قصة الرسل الثلاثة الذين أرسلوا لتلك القرية المكذبة بالله سبحانه وتعالى- الموقف الإيجابي الذي جسده مؤمن آل ياسين (حبيب النجار) في سبيل نشر الحق والفضيلة لقومه- الإيجابية الفكرية المتمثلة في حث العقل على التفكير في جنبات الكون المنظور من سماوات وأرض وأفلاك ونجوم وبحار وسفن، والتي تقود لمعرفة الخالق الصانع المبدع- الحث الإيجابي للعقل على التفكير في خلق الإنسان نفسه ودقة الصنع التي كرمه الله به.

مكونات البحث: يتكون هذه البحث من: - مقدمة تناولت فيها أهمية الموضوع، ومشكلته، وحدوده، وهدفه، ومنهجه. - هيكل البحث والذي يتكون من: المبحث الأول: الإيجابية في القرآن الكريم. وفيه مطلبان: المطلب الأول: تعريف الإيجابية لغة واصطلاحاً. المطلب الثاني: مظاهر الإيجابية. المبحث الثاني: ملامح الإيجابية من خلال سورة يس. وفيه مطلبان: المطلب الأول: التعريف بسورة يس. المطلب الثاني: الموضوعات التي تجسدت من خلالها الإيجابية في السورة الكريمة. الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: يس؛ الإيجابية؛ حبيب النجار؛ الحث الإيجابي.

* المؤلف المرسل

Abstract :

This paper aims to clarify the concept of positivity through meditation in the verses of Surah Yassin, and through which we recognize the positive values that produce a Moslem individual who is distinctive in his/ her relation with God, the universe, and life. The Surah has concentrated on the demonstration of positive values through the following topics.

- An introduction which deals with the significance of the subject matter, the problem, its limits , its objective(s), and the methodology used. - The Research Framework consists of the following: Chapter 1: Positivity in the Holy Qur'an, and it has to subtitles: 1.1: Definition of positivity in language and technically. 1.2: Features of positivity . Chapter 2: Lineaments of positivity in Surah Yassin , and ,it also comprises to entries as follows : 2.1: Introducing Surah Yassin. 2.2: Themes, through which positivity has been represented in the holy Surah. Chapter 3: Conclusion which contains the findings and the recommendations for any further studies.

Keywords: Positivity; Meditations; Yassin; Positive Stimulation .

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن الإيجابية معلم مهم من معالم التربية القرآنية، كونها أساس النهضة في بناء المجتمعات وتشبيد الحضارات، لأنها حالة في النفس تجعل صاحبها مهموما بتنفيذ أمر ما يعود بالخير والنفع على الأمة، لا يألو جهدا في السعي والعمل من أجل تحقيق مصالح عامة. فالإيجابي يتمتع بالحب والتجاوب والتفاعل والعطاء، عكس الإنسان السلبي الذي يحمل كل معاني السلبية من التوقع والانزواء والبلادة والانغلاق والكسل.

الإيجابية في القرآن الكريم- تأملات في سورة يس

فالمسلم الإيجابي عندما تعرض له مشكلة يفكر في الحل، لأنه قادر على حلها لما يتمتع به من عقلية قادرة على مواجهة الصعوبات بكل أريحية وصبر واقتدار، فهو الذي يصنع الأحداث وليس العكس كما هو حال السلبي الذي تصنعه الأحداث.

ومن خلال النظر والتدبر في آيات القرآن الكريم نلاحظ أن الرسالة المحمدية برمتها كانت رسالة موجهة بالدرجة الأولى إلى صناعة الفرد المسلم الإيجابي القادر على تحمل مسؤوليته الشخصية أولاً، ومسؤولية أمته ثانياً، ومن هذا المنطلق حاولت جاهداً أن أنقب عن بعض تجليات القرآن الكريم في صناعة الشخصية الإيجابية القادرة على النهوض بالأمة واخترت سورة يس أنموذجاً لبيان هذه الإيجابية، ووسمت بحثي بـ (الإيجابية في القرآن الكريم- تأملات في سورة يس) كون هذه السورة الكريمة تجلت فيها معاني الإيجابية في أروع وأنصح صورها من خلال الثناء الإلهي على النبي ﷺ، وعرضها للأنموذج الإيجابي الدعوي للأنبياء صلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين، ومؤمن آل ياسين (حبيب النجار) الذي قدم أنصح صور الإيجابية في تاريخ البشرية من خلال وقوفه مع الحق، والتضحية بنفسه في سبيل الذود عن الحق ونصرتة.

أهمية الموضوع:

1. تبرز أهمية الموضوع في كونه يتعلق بأشرف الكتب وأجلها، وهو القرآن الكريم، ويبحث جانباً من جوانب التربية القرآنية للفرد المسلم، المتمثلة في بناء الشخصية الإيجابية البعيدة عن التفوق والسلبية.

2. الإيجابية نظام متكامل ابتداء من خلق الكون، وحركة الحياة، والنشاط الإنساني في بناء الحضارات.

3. سورة ياسين من السور مكية النزول والتي تناولت في طياتها العديد من المحاور والقصص التي تبني منهج الإيجابية في البشر، وهذا يتناسب مع الفترة المكية التي كان أساسها بناء الأخلاق والإنسان على حد سواء.

مشكلة البحث: ليس هناك مشكلة حقيقية تقف حاجزا أمام هذه الدراسات، لكن مثل هذه الدراسات التأملية الاستنباطية تحتاج لفكر ثاقب، واستنباط صائب، وهذا ما يجعل الباحث يعيد النظر مرات ومرات في التأمل والاستنباط، وهذا يستغرق جهدا ذهنيا وزمنيا في آن واحد، كذلك قلة المصادر والمراجع في مجال الدراسات القرآنية التي تتناول مثل هذه الموضوعات.

حدود البحث: تقتصر هذه الدراسة التأملية الموضوعية على سورة يس - مكية النزول - والتي تناولت صناعة الإيجابية بأعلى صورها المختلفة، وكيف نستفيد من هذه الإيجابية القرآنية في غرس القيم النبيلة التي تصنع مجتمعا رابيا معتزا بدينه وهويته وأخلاقه.

هدف البحث: يهدف البحث إلى:

1- دراسة الموضوعات القرآنية التي تناولت جوانب تربوية ناجحة في بناء الأمة، ومن هذه الموضوعات "الإيجابية" التي هي أساس إيجاد الخلق، ومن أجلها بعث الأنبياء.

2- تأمل الآيات القرآنية في سورة يس والتي تناولت في معظمها قضية الإيجابية، من خلال الإيجابية الدعوية المتمثلة في قصة الرسل الذين أرسلوا لتلك القرية، وكذلك قصة مؤمن آل ياسين. والإيجابية الفكرية المتمثلة في حث العقل على التفكير في جنبات الكون المنظور من سماوات وأرض وأفلاك ونجوم وبحار وسفن، وكذلك الحث الإيجابي للعقل على التفكير في خلق الإنسان ودقة الصنع التي تقود إلى معرفة الخالق الحق سبحانه وتعالى.

منهج البحث: المنهج الذي اتبعته هو المنهج البحثي الاستقرائي الاستنباطي من خلال التأمل في موضوعات سورة يس.

طريقة البحث: إن الطريقة المتبعة في تقسيم الموضوع هي طريقة البحوث العلمية الأكاديمية المتبعة على النحو التالي:

1- كتابة الآيات وعزوها إلى السور التي وردت فيها مع بيان اسم السورة ورقم الآية.

2- إذا استدعى المقام الاستشهاد بالآية مرة أخرى في نفس الصفحة فلإني لا أعزوها مكتفيا بما أشرت إليه سابقا.

- 3- استخدام القوسين المزهرين للآيات لتمييزها عن ما سواها.
- 4- استخدام قوس واحد لتمييز الأحاديث النبوية والآثار.
- 5- إذا نقلت كلام عالم من العلماء بالنص فإني أنصصه بين قوسين وأشير في الهامش لاسم الكتاب، ومؤلفه، ودار النشر، ورقم الطبعة، وسنة الطبع إن وجد، مع بيان رقم الجزء والصفحة.
- 6- إذا تم اقتباس كلام من أي كتاب مع تصرف يسير فإني أكتب العبارات بدون أقواس ثم أشير في الهامش بكلمة ينظر، وأشير للكتاب الذي تم أخذ المعلومات منه.
- 7- أنقل آراء المفسرين في الموضوع الواحد مرتباً ذلك حسب أقدمية المؤلفين؛ لأن اللاحق عادة يستفيد ممن سبقه.

8- اكتفي بذكر أسماء الأعلام دون أن أترجم لهم خشية إطالة البحث.

هيكل البحث: إن الهيكل العام للبحث ينقسم إلى مقدمة، والتي تناولت فيها أهمية الموضوع، ومشكلته، وحدوده، وهدفه، ومنهجه، وهيكله الذي انحصر بعد المقدمة في مبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: الإيجابية في القرآن الكريم. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الإيجابية لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: مظاهر الإيجابية.

المبحث الثاني: ملامح الإيجابية من خلال سورة يس. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بسورة يس.

المطلب الثاني: الموضوعات التي جسدت مفهوم الإيجابية في السورة الكريمة وتتمثل في:

الموضوع الأول: إيجابية الشاء الإلهي على شخص النبي صلى الله عليه وسلم.

الموضوع الثاني: إيجابية الأنبياء والدعاة في أسلوب عرض الدعوة للناس.

الموضوع الثالث: إيجابية التفكير في آفاق الكون المنظور.

الموضوع الرابع: إيجابية التفكير في حقيقة خلق الإنسان.

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: الإيجابية في القرآن الكريم:

لما كان القرآن الكريم الرسالة الخاتمة والخالدة للبشرية، كان موضوع الإيجابية من أهم الأهداف التي جاء لترسيخها، وتنميتها في النفوس من خلال التهذيب والتربية، وسرد القصص الواقعية التي تجسد الإيجابية في بناء الإنسان من خلال عرض المواقف البطولية التي حكاها القرآن عن نماذج من البشر كانت لهم بصمات واضحة في تغيير حياة البشرية، ونقلها من الظلمات إلى النور.

وحيثما نتدبر قضية الوجود بأسرها نجد أن قانون الخلق بأكمله قائم على الإيجابية، فنظام خلق الكون، وحركة الليل والنهار، وحركة الشمس والقمر، ونظام الخلق المتوازن، كل ذلك دليل واضح على أن الإيجابية هي أساس الحياة واستمرارها، فلا وجود للسلبية في قانون الخلق، وما يحصل من سلبات نشاهدها هي عبارة عن خرق البشر لمألوف الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولذلك نهى الله عن انحراف هذه الفطرة فقال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم:30]

فالإيجابية هي منطلق الخير في كل نواحي الحياة، فالمجتمع الإيجابي هو ذلك المجتمع المتماسك الذي تسوده المحبة والصدق والأمانة، مجتمع ينبذ السلبية بكل أشكالها وألوانها، مجتمع لا يسمح للطغيان أن يستشري، ولا يسمح للشر أن يسود... مجتمع يقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... مجتمع متكامل الأوصاف والقيم، مستقيم الفطرة والفكرة... مجتمع يستخدم العقل للوصول إلى الحقائق والإبداع والإنتاج وليس الانحراف والشر والجريمة... مجتمع يعيش فيه الفرد آمناً على دينه وعرضه وماله.

مما سبق ندرك القيمة الكبرى للإيجابية في أي مجتمع من مجتمعات الأرض، ولهذا حشد القرآن الكريم كمًّا كبيراً من الآيات التي تبني هذا المفهوم في كيان الإنسان، ابتداءً بالتفكير في خلق الإنسان وإبداع الصانع الحكيم، ثم لفت العقل للنظر والتدبر في أرجاء الكون المنظور من سماوات وأرض، وجبال ووهاد، وحركة الشمس والقمر، وتعاقب الليل والنهار، وحركة السفن في البحار، وكل صغير وكبير مستطر، كل هذا ليصل بالعقل نحو الإيجابية المثلى التي تصنع عالماً ناجحاً صانعاً للحضارات.

ومن هذا المنطلق فقد اقتضى هذا المبحث أن يقسم إلى مطلبين على النحو التالي:

المطلب الأول: تعريف الإيجابية لغة واصطلاحاً.

تعريف الإيجابية لغة: كلمة إيجابي هي: اسم منسوب إلى إيجاب، عكسه سلبي، وكلمة إيجابية مفرد إيجابيات، وهي اسم مؤنث منسوبة أيضاً إلى إيجاب، كما أنها مصدر صناعي من إيجاب، وتعني كل ما يصدر من أمور ناجحة ومقبولة وموقّعة عن شخص ما، نقول: شخص إيجابي⁽¹⁾.

تعريف الإيجابية اصطلاحاً: الإيجابية والسلبية كلمتان شاع استعمالهما مؤخراً في كثير من الدراسات وخاصة ما يسمى بعلم التنمية البشرية، والإيجابية تعرف بأنها: سمة من سمات الشخصية وتعني الخروج من التمرکز حول الذات إلى الانفتاح على العالم الخارجي، والرغبة الحقيقية في إصلاح الذات وإصلاح المجتمع، ووجود إرادة التغيير للأفضل، والقدرة على التفاعل الجيد مع الآخرين، والتفكير الإيجابي والتفاؤل وتوكيد الذات والوضوح والقدرة على حل المشكلات واتخاذ القرار السليم والتخطيط للمستقبل مما ينعكس على الشخص الإيجابي بحالة من الطمأنينة الروحية.

ويمكن أن نقول: بأنّها الاندفاع الذاتي الناشئ عن استقرار الإيمان في القلب، لتمكين الإنسان من التكيف مع الواقع حوله وتبديله وتغييره، إن احتاج الأمر لكي يطابق الواقع الإيجابي الموجود في مخيلته، وهو الحافز الذي يدفع الإنسان لأداء عمل معيّن؛ ليتمكن من الوصول إلى غاية محدّدة، ومواجهة كافة الصعاب لتحقيق الأهداف، فالفرد الإيجابي هو شخص لا يهدأ له بال، ولا يكل ولا يمل، ولا تنطفئ له جذوة، حتى يحقق أهدافه التي يسعى إليها ويحقق غاياته المنشودة بالطرق الصحيحة والسليمة.

المطلب الثاني: مظاهر الإيجابية في القرآن الكريم:

مما تجدر الإشارة إليه أن الإيجابية هي المرتكز الذي قام عليه نظام الكون بكل أطيافه وجوانبه، فإبداع الخلق، ودقة الصنع والتكوين، ونظام الكون المتوازن قائم على الإيجابية بعيداً عن السلبية والفوضى؛ ولهذا نرى أن القرآن الكريم جسد موضوع الإيجابية بكل قوة من خلال غرس الفضائل في نفوس المؤمنين، والنهضة بهم إلى الرقي والحضارة، وإبعادهم عن كل مشين يؤثر في سلوكهم وحياتهم، كما جسد القرآن الكريم العديد من المظاهر التي من خلالها تجسدت مفهوم الإيجابية بكل وضوح وجلاء ومن هذه المظاهر:

1- بناء مجتمع سليم نظيف يقوم على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104] فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مبدأ ينتج عنه بناء أمة إيجابية تسلك طريق المعروف وما فيه من جمال وجلال، وتجنب عمل المنكر الذي يمثل سلبية ونكوصا في واقعها، ومن نتائج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن الله لا يهلك أي أمة فيها هذا النهج، وهي قيمة إيجابية عظيمة هذه ثمرتها.

2- ومن مظاهر الإيجابية في القرآن الكريم حث الأمة على التعاون على الخير والبر والصلوات قال تعالى: ﴿وَعَاوِزُوا عَلَى الْإِيمِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: 2] فالآية الكريمة تدعو المجتمع إلى التعاون على كل أعمال البر والخير التي تؤدي إلى النهوض والتقدم، فالفاعل الاجتماعي البناء هو الذي يشكل مرتكزا حضاريا للأمة من خلال التعاون على أعمال البر كتلمس أحوال الفقراء والمساكين، والأرامل واليتامى، وإزالة كل الأسباب التي تؤدي إلى الشحناء والبغضاء بين المجتمع، وإصلاح ذات البين، كي يعيش المجتمع في سعادة وطمأنينة ورفاهية، ولهذا جسد القرآن هذا الأمر من خلال تركيزه على مبدأ الصلح بين الناس، وتقريب وجهات النظر بين المتخاصمين فقال: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: 114] فكل هذه الأعمال هي أقوى مشاعر الإيجابية حين يكون الناس متعاونين على أعمال البر والخير والتقوى والصلح بين الناس.

3- ومن مظاهر الإيجابية في القرآن الكريم هو الحث على العمل والإنتاج، والنشاط والحيوية، حتى لا يكون الإنسان عنصرا سلبيا متكلا على غيره، ولهذا كان العمل عبادة في الإسلام لا يقل شأنًا عن أداء الشعائر. قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: 10] فالآية الكريمة قرنت بين العبادة وبين العمل وابتغاء الرزق، لأن كلا الأمرين سلوك إيجابي في الفرد المسلم، فلا يمكن أن يكون الفرد ناجحا في حياته ما لم يكن إيجابيا في عبادته، إيجابيا في عمله، قادرا على الإنتاج والكسب؛ ولهذا حث النبي ﷺ على العمل فقال: ((لَأَنْ يَخْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْتَنِعَهُ))⁽²⁾

4- ومن مظاهر الإيجابية في القرآن هو وصف النبي ﷺ بأعلى درجات الإيجابية قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ٤﴾ [القلم:4] فقد وصف الله رسوله في هذه الآية بأعلى درجات الإيجابية التي لا يصلها بشر غير محمد ﷺ فقد كان في أعلى درجات الأخلاق تعاملًا وتواضعًا وسلوكًا وتعليمًا وتهذيبًا، وهذا الوصف يتجسد في وصف زوجه خديجة له حين فاجأه الوحي لأول مرة في غار حراء فجاء خديجة خائفا يرتجف، كما في البخاري: ((فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَجُفُ فُؤَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي. فَرَمَلُوهُ حَتَّىٰ ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوَغُ، فَقَالَ لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْحَبَرُ: لَقَدْ خَشِيتُ عَلَىٰ نَفْسِي. فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَىٰ نَوَائِبِ الْحَقِّ))⁽³⁾.

5- ومن مظاهر الإيجابية في القرآن الكريم ضرب الأمثلة الواضحة للتفريق بين النموذج الإيجابي والنموذج السلبي. قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا ثَلَاثِينَ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٧٦﴾ [النحل:76]، ففي هذه الآية بين الحق سبحانه وتعالى الفرق بين النموذج الإيجابي والنموذج السلبي. فالأول كما يقول الشيخ الشعراوي: "عالة على سيده، لا ينفع حتى نفسه، ومع ذلك قد يكون عنده حكمة يقضي بها شيئاً لسيده، حتى هذه ليست عنده. إذن: لا خير فيه، ولا منفعة ألبتة، لا له ولا لغيره، هذه صفات الرجل الأول"⁽⁴⁾. فهذا هو الشخص يمثل السلبية بأعلى درجاتها لا ينفع نفسه ولا مجتمعه ولا أمته، فهو عالة على المجتمع.

وأما الإيجابي فهو ذلك الذي يأمر بالعدل، وينشر الخير والفضيلة للناس، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويقضي حوائج الناس، فهو شخص إيجابي وصفه الله بأنه سالك للطريق المستقيم القويم الذي أراده الله سبحانه وتعالى من الخلق حين خلقهم، وهو مثل ضربه الله ليبين الفرق بين الأصنام التي لا تغني شيئاً، وبين المعبود الخالق القادر على كل شيء.

يقول ابن كثير رحمه الله: "قَالَ مُجَاهِدٌ: وَهَذَا أَيْضًا الْمُرَادُ بِهِ الْوُثْنُ وَالْحَقُّ تَعَالَى، يَعْنِي أَنَّ الْوُثْنَ أَبْكَمُ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَنْطِقُ بِخَيْرٍ وَلَا بِشَيْءٍ وَلَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ بِالْكُلِّيَّةِ، فَلَا مَقَالَ وَلَا فِعَالٍ، وَهُوَ مَعَ

هَذَا كُلُّ أَيْ عِيَالٍ وَكُلْفَةٌ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوجِّهُهُ أَيْ يَبْعَثُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ وَلَا يَنْجَحُ مَسْعَاهُ، هَلْ يَسْتَوِي مَنْ هَذِهِ صِفَاتُهُ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ أَيْ بِالْقِسْطِ، فَمَقَالَهُ حَقٌّ وَفِعَالُهُ مُسْتَقِيمَةٌ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (5).

6- ومن مظاهر الإيجابية في القرآن هو الإنتاج والتنمية. قال تعالى: ﴿وَقُلِ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105] فالعمل والانتاج ضرورة حتمية في الدين الإسلامي، فلا مجال للكسل والسلبية والانعزالية والتواكل، فالنظام الإسلامي قائم على الإيجابية والتفاعل والنشاط والإنتاج، الذي يحصل معه التقدم والرخاء والبناء، ولهذا نلاحظ أن النبي صلى الله عليه وسلم حث على فعل الخير والتنمية حتى لو كان الإنسان في الغرّة وهو يغادر الدنيا فقال: ((إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرَسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا)) (6). فعمل الخير في التشريع الإسلامي إيجابية لا تسقط حتى في أحلك الظروف.

المبحث الثاني: ملامح الإيجابية من خلال سورة يس.

سورة يس من السور المكية التي نزلت قبل الهجرة، والتي جاءت بمحمل موضوعاتها تتناول بناء الأخلاق والإنسان على حد سواء، وهي تتناسب مع الفترة المكية التي ركزت تركيزاً واضحاً على بناء الإنسان الإيجابي من خلال موضوعاتها التي تناولت جزءاً من شخصية النبي ﷺ الدعوية، وتناولت جانباً من التصادم بين الحق والباطل، بين الإيجابية والسلبية، من خلال الحوار الذي دار بين الأنبياء وأصحاب القرية المكذبين، وتجلت الإيجابية بأعلى صورها في هذه السورة من خلال تجسيد أنموذج الشخصية الإيجابية المتمثلة في شخصية مؤمن آل ياسين، أو ما يسمى بـ "حبيب النجار" والموقف الإيجابي الذي سجله تجاه قومه، داعياً إياهم للخير والصلاح، واتباع نهج السماء الذي جاء به الأنبياء المرسلون من عند ربهم، وكيف كانت نهايته على يد قومه!!، حيث قتلوه طغياناً وكفراً، لأن نفوسهم التي تشربت بالسلبية لم تفقه طريق الخير وحقيقة النصيح الرشيد، وكيف ظلت تلك الإيجابية الناصحة في نفس هذا الداعية بعد قتله متمنية لهم الخير، فقد تمنى لو أنهم يتبعون الرسل فينالون الجنة، كما تمنى لو أنهم يعلمون بمكافئة الله له في الجنة على موقفه الإيجابي العظيم فيتبعون بعده الحق ويفوزون بمثل هذه المكافأة.

إن هذا السلوك الإيجابي الذي تحمله تلك النفس الإيجابية الطاهرة تجاه خصومها، بل تجاه من قتلوها وفتكوا بها، هي روح تربت على الفضيلة وحب الخير للآخرين دون مقابل، تلك الروح الطاهرة التي تطهرت بنور الله وحب الله.

ومن خلال هذا المبحث سوف أتناول العديد من الإيجابيات التي تناولتها السورة الكريمة سواء في مجال الثناء على النبي ﷺ، أو ما يتعلق بإيجابية الدعوة، أو إيجابية التفكير في مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وما ينتج عن كل هذا من إيمان صادق بوجود الله سبحانه وتعالى، وذلك من خلال المطالبين الآتين:

المطلب الأول: التعريف بسورة يس.

1- اسم السورة: يقول الفيروز آبادي: "أن للسورة اسمان: سورة (يس)؛ لافتتاحها، وسورة حبيب النجار؛ لاشتغالها على قصته"⁽⁷⁾. ويقول ابن عاشور: "سميت هذه السورة (يس) بمسمى الحرفين الواقعين في أولها في رسم المصحف لأنها انفردت بها فكانا مميزين لها عن بقية السور فصار منطوقهما علما عليها"⁽⁸⁾. ويؤكد التسمية الثانية التي أشار إليها الفيروز آبادي (حبيب النجار) بقوله: "ورأيت مصحفا مشرقيا نسخ سنة ألف وثمانية وسبعين للهجرة (1078هـ) أحسبه في بلاد العجم عنونها "سورة حبيب النجار" وهو صاحب القصة: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَفْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ [يس:20] وهذه تسمية غريبة لا نعرف لها سنداً"⁽⁹⁾.

أما التسمية بسورة (يس) فهي الأصح والأشهر وقد جاءت في صحيح البخاري حيث عنوان لها بهذا الاسم⁽¹⁰⁾. وهذا الاسم هو الذي ورد عن النبي ﷺ، فقد روى أبو داود بسنده عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: (اقرأوا يس على موتاكم)⁽¹¹⁾.

كما سماها بعض السلف (قلب القرآن) لوصفها في قول النبي ﷺ: (إن لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس)⁽¹²⁾ وهي تسمية غير مشهورة.

2- عدد آياتها وكلماتها وحروفها: يذكر صاحب الباب التأويل بأن عدد آيات وحروف هذه السورة: "هي ثلاث وثمانون آية، وسبعمائة وتسع وعشرون كلمة، وثلاثة آلاف حرف"⁽¹³⁾. وهذا ما أكدته الفيروز آبادي بقوله: "أن عدد آياتها ثمانون وثلاث آيات عند الكوفيين، واثنان عند الباقين. وكلماتها سبعمائة وتسع وعشرون. وحروفها ثلاثة آلاف"⁽¹⁴⁾. ويقول ابن عاشور: "وعدت آياتها عند جمهور الأمصار اثنتين وثمانين، وعدت عند الكوفيين ثلاثا وثمانين"⁽¹⁵⁾.

3- ترتيبها: يذكر ابن عاشور: "هي السورة الحادية والأربعون في ترتيب النزول في قول جابر بن زيد الذي اعتمده الجعبري نزلت بعد سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ﴾ وقبل سورة الفرقان"⁽¹⁶⁾، وهي أيضا السورة السادسة والثلاثون في ترتيب المصحف العثماني.

4- مكان نزولها: ذكر ابن عطية: "أن هذه السورة مكية بالإجماع"⁽¹⁷⁾، وتبعه الفيروز آبادي بأن السورة مكية بالإجماع"⁽¹⁸⁾. كما قال ابن عاشور بمكيته كاملة"⁽¹⁹⁾.

واستثنى منها بعضهم قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخَرَهُمْ﴾ [يس: 12] لما أخرجه الترمذي عن أبي سعيد قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ آثَارَكُمْ تُكْتُبُ فَلَا تَنْتَقِلُوا. فنزلت هذه الآية"⁽²⁰⁾. والحققة أن هذا الاستثناء لا يقوم على دليل، وهو ما أكدته ابن عاشور بقوله: "وليس الأمر كذلك وإنما نزلت الآية بمكة ولكنها احتج بها عليهم في المدينة"⁽²¹⁾.

5- فضائلها: ورد في فضائل سورة يس آثار عديدة منها:

1- ما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ((مَنْ قَرَأَ يَسَ فِي لَيْلَةٍ ابْتَغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ غُفِرَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ))"⁽²²⁾.

2- وما روي عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يَسَ، وَمَنْ قَرَأَ يَسَ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ))"⁽²³⁾.

3- وَقَالَ عَطَاءُ بْنُ أَبِي رَاحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: ((مَنْ قَرَأَ يَسَ فِي صَدْرِ النَّهَارِ قُضِيَتْ حَوَائِجُهُ))"⁽²⁴⁾.

4- وما روي عن الحسن رحمه الله قال: ((مَنْ قَرَأَ يَسَ فِي لَيْلَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ، أَوْ مَرْضَاةِ اللَّهِ غُفِرَ لَهُ، وَقَالَ: بَلَعْنِي أَنْهَا تَعْدِلُ الْقُرْآنَ كُلَّهُ))⁽²⁵⁾.

5- وما روي عن عليّ رضي الله عنه قال: ((كَسَفَتِ الشَّمْسُ فَصَلَّى عَلَيَّ ﷺ لِلنَّاسِ فَقَرَأَ يَسَ أَوْ نَحْوَهَا، ثُمَّ رَكَعَ نَحْوًا مِنْ قَدْرِ السُّورَةِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ قَدَرَ السُّورَةِ يَدْعُو وَيُكَبِّرُ، ثُمَّ رَكَعَ قَدَرَ قِرَاءَتِهِ أَيْضًا، ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ قَامَ أَيْضًا قَدَرَ السُّورَةِ، ثُمَّ رَكَعَ قَدَرَ ذَلِكَ أَيْضًا، حَتَّى صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ قَالَ سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ فِي الرُّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، فَفَعَلَ كِفَعْلِهِ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى، ثُمَّ جَلَسَ يَدْعُو وَيَرْغَبُ، حَتَّى انْكَشَفَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَذَلِكَ فَعَلَ))⁽²⁶⁾.

6- وروى الإمام أحمد في المسند قال: حَدَّثَنَا أَبُو الْمُغِيرَةِ حَدَّثَنَا صَفْوَانُ حَدَّثَنِي الْمَشَيْخَةُ أَنَّهُمْ حَضَرُوا غُضَيْفَ بْنِ الْحَارِثِ الثَّمَالِيِّ حِينَ اشْتَدَّ سَوْفُهُ فَقَالَ: ((هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ يَقْرَأُ يَسَ قَالَ فَقَرَأَهَا صَالِحُ بْنُ شُرَيْحٍ السَّكُونِيُّ فَلَمَّا بَلَغَ أَرْبَعِينَ مِنْهَا قُبِضَ، قَالَ: فَكَانَ الْمَشَيْخَةُ يَقُولُونَ: إِذَا قُرِئَتْ عِنْدَ الْمَيِّتِ خَفَّفَ عَنْهُ بِهَا، قَالَ صَفْوَانُ: وَقَرَأَهَا عِيسَى بْنُ الْمُعْتَمِرِ عِنْدَ ابْنِ مَعْبُدٍ))⁽²⁷⁾.

7- وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ((مَنْ قَرَأَ يَسَ حِينَ يُصْبِحُ أُعْطِيَ يُسْرَ يَوْمِهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي صَدْرِ لَيْلِهِ أُعْطِيَ يُسْرَ لَيْلَتِهِ حَتَّى يُصْبِحَ))⁽²⁸⁾.

ومن خلال استعراض الأحاديث السابقة التي وردت في فضائل سورة يس وبالعودة لكتب التخریج نلاحظ أن أكثر هذه الآثار والأحاديث ضعيفة، ولكن الذي عليه جمهور العلماء هو جواز الأخذ بالحديث الضعيف فيما يتعلق بفضائل الأعمال، إذا لم يكن شديد الضعف، ويندرج تحت أصل عام، وهذه الأحاديث يمكن الأخذ بها من هذا الجانب.

6- مقصود السورة: يقول الفيروز آبادي: "مقصود السورة: تأكيد أمر القرآن والرسالة، وإلزام الحجة على أهل الضلالة، وضرب المثل في أهل أنطاكية، وذكر حبيب النجار، وبيان البراهين المختلفة في إحياء الأرض الميتة، وإبداء الليل والنهار، وسير الكواكب، ودور الأفلاك، وجرى الجواري المنشآت في البحار، وذلة الكفار عند الموت، وخيرتهم ساعة البعث، وسعد المؤمنين المطيعين، وشغلهم في الجنة، وميز المؤمن من الكافر في القيامة، وشهادة الجوارح على أهل المعاصي

بمعاصيهم، والمينة على الرسول ﷺ بصيانتته من الشُّعْر ونظمه، وإقامة البرهان على البعث، ونفاذ أمر الحق في كن فيكون، وكمال مُلك ذي الجلال على كلِّ حال في قوله: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَكْرُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٢٩).

ويقول البقاعي: "ومقصودها: إثبات الرسالة التي هي روح الوجود، المفاض فيه من جهة الملك، وقلب جميع الحقائق، وبها قوامها للمرسل بها، الذي هو خالصة المرسلين، الذين هم قلب الموجودات كلها، ذوات ومعادن، إلى أهل مكة أم القرى وقلب الأرض" (٣٠).

كما يشير سيد قطب إلى أن موضوعات هذه السورة تهدف إلى بناء أسس العقيدة، وطبيعة الوحي، وصدق الرسالة، وتسوق قصة أصحاب القرية التحذير من عواقب التكذيب بالوحي والرسالة، كما تتناول قضية الألوهية والوحدانية (٣١).

7- مناسبتها لما قبلها: يقول السيوطي عن مناسبة هذه السورة بالتي قبلها: "ظهر لي وجه اتصالها بما قبلها: أنه لما ذكر في سورة فاطر قوله تعالى: ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ وقوله: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ والمراد به محمد ﷺ وقد أعرضوا عنه وكذبوه، فافتتح هذه السورة بالإقسام على صحة رسالته، وأنه على صراط مستقيم، لينذر قومًا ما أنذر آبائهم وهذا وجه بين" (٣٢). وأضاف المراغي: "إنه قال فيما قبلها ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال في هذه: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ وقال: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ﴾ (٣٣). وفي سورة فاطر قال: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ﴾. وفي سورة يس قال: ﴿وَأَيُّهُ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكَ الْمَسْحُونِ﴾ (٣٤) وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ (٣٥) وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ (٣٦) ﴿ فزاد القصة بسطا (٣٤).

8- مناسبتها لما بعدها: يذكر الإمام السيوطي في كتابه أسرار ترتيب القرآن أن سورة (الصفات) بعد (يس) كالأعراف بعد الأنعام، وكالشعراء بعد الفرقان، في تفصيل أحوال القرون المشار إلى إهلاكهم، كما أن تينك السورتين تفصيل لمثل ذلك كما تقدم (٣٥).

كما ذكر المراغي في تفسيره عدة وجوه من المناسبات بين سورة (يس) والسورة التي تليها (الصفات) لخصها كالتالي (٣٦):

- 1- إن فيها تفصيل أحوال القرون الغابرة التي أشير إليها إجمالاً في السورة السابقة في قوله: ﴿الَّذِينَ يَرَوْنَ كَمَ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:31]
- 2- إن فيها تفصيل أحوال المؤمنين وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة مما أشير إليه إجمالاً في السورة قبلها.

3- المشكلة بين أولها وآخر سابقتها، ذاك أنه ذكر فيما قبلها قدرته تعالى على المعاد وإحياء الموتى، وعلل ذلك بأنه منشئهم وأنه إذا تعلقت إرادته بشيء كان، وذكر هنا ما هو كالدليل على ذلك، وهو وحدانيته تعالى، إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة إيجاداً وإعداماً إلا إذا كان المرید واحداً.

المطلب الثاني: الموضوعات التي جسدت مفهوم الإيجابية في السورة الكريمة:

جسدت موضوعات السورة الكريمة قضية الإيجابية تجسيدا واضحا من أولها إلى آخرها، حيث عرضت السورة العديد من القيم الإيجابية، أهمها شهادة الله سبحانه وتعالى لرسوله بالرسالة ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [يس:3]، كما تناولت السورة جانبا من طبائع النفوس البشرية التي تمثل الجانب الإيجابي المشرق في قبول الحق والإذعان له، وهي عكس ذلك الصنف من البشر الذين انطوت نفوسهم على السلبية وعدم قبول الحق، فهم دائما يركضون في الجانب السلبي من الحياة.

كما تناولت السورة القرآنية الأسلوب الإيجابي في العمل الدعوي من خلال قصة أولئك الرسل مع أصحاب القرية التي أرسلوا إليها، وركزت على القيمة الإيجابية عند الفرد الذي يحمل كل الخير للآخرين مهما كانت التكلفة، وجسدت ذلك المبدأ من خلال مؤمن آل ياسين الذي جاء من أقصا المدينة راكضا مسرعا يحث الخطى ناصحا قومه باتباع الرسل، وقد كان الثمن باهضا لهذه النصيحة حيث قتله أولئك الذين جاء يسدي الخير لهم، وتجلت الإيجابية بأعلى صورها في هذا الرجل المؤمن المقتول ظلما من خلال التمني الذي تمناه بعد موته لو أن قومه يعلمون كيف عوضه الله وأعطاه من النعيم، هذا التمني ليس نكاية بهم ولكن لعلمهم يرون حقيقة المصير الأخروي لأهل الحق فيتبعون الرسل.

كما تجلت الإيجابية بأعلى صورها في السورة الكريمة من خلال دقة الخلق والتكوين وحركة الليل والنهار، والشمس والقمر، ونعيم الآخرة، وسلسلة حياة الإنسان ذات البداية والنهاية، وتسخير المخلوقات للإنسان، كل هذا الصور تحمل طابع الإيجابية بأعلى مستوياتها. وفي هذا المطلب سوف نتناول أبرز الموضوعات في السورة الكريمة التي تجسدت من خلالها الإيجابية بكل وضوح وجلاء، ومن هذه الموضوعات:

الموضوع الأول: إيجابية الشاء الإلهي على شخص النبي صلى الله عليه وسلم:

﴿يَس ١﴾ وَأَلْقُرْآنَ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦﴾ [يس: 1-6]

قبل أن أتناول إيجابية الشاء الإلهي على شخص النبي ﷺ، وما قيمتها الإيجابية على نفسية النبي ﷺ، وعلى المؤمنين من حوله، سوف أشير إشارة مقتضبة إلى الحروف المقطعة التي افتتحت بها كثير من السور القرآنية، ومن ضمنها هذه السورة الكريمة التي نحن بصدد دراستها.

فكلمة (يس) من الحروف المقطعة التي تأتي في بداية السور، وهي تتكون من حرفين (يا- سين) وقد ذكر الفخر الرازي: "أن في ذكر هذه الحروف في أوائل السور أمورا تدل على أنها غير خالية عن الحكمة ولكن علم الإنسان لا يصل إليها"⁽³⁷⁾.

ويقول ابن عاشور: "ومن جملتها أنه اسم من أسماء الله تعالى، رواد أشهب عن مالك قاله ابن العربي، وفيه عن ابن عباس أنه: يا إنسان، بلسان الحبشة. وعنه أنها كذلك بلغة طيء، ولا أحسب هذا يصح عنه لأن كتابتها في المصاحف على حرفين تنافي ذلك... ومن الناس من قال: إن يس اختزال: يا سيد، خطابا للنبي ﷺ ويوهنه نطق القراء بها بنون. ومن الناس من يسمي ابنه بهذه الكلمة وهو كثير في البلاد المصرية والشامية ومنهم الشيخ يس بن زين الدين العليمي الحمصي المتوفى سنة (1061هـ) صاحب التعاليق القيمة فإنما يكتب اسمه بحسب ما ينطق به لا بحروف التهجي وإن كان الناس يغفلون فيكتبونه بحرفين كما يكتب أول هذه السورة"⁽³⁸⁾.

وكره ابن العربي أن يسمى الإنسان نفسه بهذا الاسم (يس) كونه اسم من أسماء الله تعالى، ونسب هذا القول لمالك حيث روى عنه أَشْهَبُ قَالَ: سَأَلْتُ مَالِكًا هَلْ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُسَمَّى يس؟ قَالَ: مَا أَرَاهُ يَنْبَغِي، لِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿يَس ۝ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ۝﴾ يَقُولُ: هَذَا اسْمِي يس⁽³⁹⁾.

والذي أميل إليه أن هذه الحروف المقطعة في بداية السور جاءت للتحدي والإعجاز لأولئك العرب الأقحاح من قريش بأن يأتوا بسورة واحدة تضاهي القرآن الذي يتكون من هذه الحروف التي يتحدثون بها، ولهذا جاء القسم مباشرة بعد هذه الحروف بالقرآن الكريم لعظمته وتشريفه، ليكون جواب هذا القسم هو تأكيد نبوة محمد ﷺ ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ والشهادة من رب الأرباب بصدق نبوة محمد ﷺ هي أعلى درجات الإيجابية، وقد جاءت هذه الشهادة مؤكدة بأكثر من مؤكد وهو (إِنَّ واللام) وتبعها بتركية سلوكه بأنه ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [يس:4] على طريق الهدى والاستقامة؛ طريق من تقدمه من الأنبياء. وهو رد على الكافرين القائلين ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد:43]⁽⁴⁰⁾. وزاد تأكيد هذه الإيجابية من خلال بيان وظيفة النبي ﷺ بأنه منذر لقومه من

خلال الكتاب الذي أنزل عليه وهو القرآن الكريم، والذي فيه سعادة البشرية إلى قيام الساعة.

وتتضح الإيجابية في أعلى صورها في نفوس أولئك الذين يتقبلون النور الإلهي دون تردد أو عناد أو مكابرة فقال الله مخاطبا رسوله ﷺ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَوَّى الرَّحْمَنَ بِالْقَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝﴾ [يس:11]. يقول الزحيلي في تفسيره: "إنما ينفع إنذارك الذين آمنوا بالقرآن العظيم واتبعوا أحكامه وشرائعه، وخافوا عقاب الله قبل حدوثه ومعانته أهواله، أو خشوا الله قبل رؤيته، فهؤلاء بشرهم بمغفرة لذنوبهم، ورضوان من الله، وأجر كريم ونعيم مقيم هو الجنة"⁽⁴¹⁾.

وتتجلى صور الإيجابية في النبي ﷺ في هذه السورة الكريمة من خلال قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمَّنَّاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ۝ لِيُنذِرَ مَنِ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ۝﴾ [يس:69-70] ففي هاتين الآيتين رد قوي على سلبية مشركي مكة الذين تصدوا لإيجابية النبوة ورسالتها، حيث نفى الله عن نبيه ما اتهموه به من قول الشعر، وأوضح أن ما جاء به هو قرآن مبين لا يشبه الشعر بأي وجه من الوجوه، وذكر مهمة رسوله هو الإنذار بالقرآن لكل من

كان له عقل متدبر، وقلب حي مستنير البصيرة، ويوجب العذاب على الكافرين، وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به⁽⁴²⁾.

الموضوع الثاني: إيجابية الأنبياء والدعاة في أسلوب عرض الدعوة للناس:

تظهر الإيجابية الدعوية واضحة المعالم من خلال دعوة الأنبياء عليهم السلام لقومهم وانتشالهم من براثن الوثنية وعبادة غير الله إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وهنا يظهر معدن الإيجابية التي تسعى إلى تخليصهم من العذاب الدنيوي، وكذلك العذاب الأخروي الذي ينتظرهم نتيجة تكذيبهم.

ففي هذه السورة تتجلى المعالم الدعوية الإيجابية من خلال قصة أصحاب القرية التي أرسل الله إليها المرسلون، وهذه القرية هي أنطاكية كما قال المفسرون، وهي مدينة بالشام متاخمة لبلاد اليونان⁽⁴³⁾. حيث أرسل الله رسولين لأهل هذه القرية يعضد كل واحد منهما الآخر في الدعوة ويسدده ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا﴾ [يس:14] وقد كانت ردة الفعل من قومهم التكذيب بهذين الرسولين، وهنا يتجلى بوضوح الصراع الدائم بين الحق والباطل، بين الإيجابية والسلبية، ولأن السلبية دائماً تكون هي الأكثر والأقوى في فترة زهوها لارتباطها بالمصالح الدنيوية، إلا أن الإيجابية هي من تسود وتتفوق مهما كانت الانكسارات والعثرات، وهنا ندرك السر في التعزيز بالرسول الثالث لدعم الرسولين الذين يخوضان معركة الإنقاذ لأولئك القوم الكافرين وانتشالهم من براثن الشيطان ﴿فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾ [يس:14] والتعزيز بالرسول الثالث فيه دليل على مدى العناد والغطرسة التي بلغها أولئك القوم في الصد عن دين الله، ومدى الاستهزاء الذي أبدوه تجاه الرسل الثلاثة حين قالوا: ﴿قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس:15] فهنا تظهر جلياً تلك السلبية التي تصاحب كل من اتبع هواه وأخلد إلى الأرض، فقد رأوا من وجهة نظرهم أن الخلقة البشرية مانعة لهؤلاء الرسل من اتصافهم بصفة النبوة، وكأنهم يريدون جنساً آخر من الخلق يرسله الله إليهم، وهذا لن يكون أبداً ويستحيل كما أخبر الله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِبْسُونَ﴾ [الأنعام:9]، ثم أتبعوا تكذيبهم بأفبح أنواع السلبية وهو اتهام الرسل بالكذب، وهذه قمة الوقاحة التي تقف حاجزاً ضد انتشار الإيجابية في المجتمعات والأمم، لكن الإيجابية تجلت بأنصع صورها من

خلال الرد القوي المؤدب على سفالة أولئك القوم ﴿ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَّغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ [يس: 16-17] فقد استخدموا في هذه الآية أكثر من مؤكد (إن- اللام) لإقناع أولئك المنكرين للرسالة، ثم بينوا لهم سلوكا إيجابيا آخر وهو أن مهمتهم البلاغ وليس الصراع، والنصح والإرشاد بدون مقابل.

ويظهر الفرق جليا بين العرض الإيجابي الهادئ الذي هو سمة الرسل، وبين سفالة الرد الذي ينبي عن سلبية أولئك القوم ﴿ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ بِكُمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَجْجَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [يس: 18] هذا الرد السلبي يعطي دلالة واضحة على عجزهم عن مقاومة الحق بالبرهان والحوار، ومن هنا يلجأ السلبيون والطغاة إلى إظهار التشاؤم والتطير الذي يتخذونه حجة للقتل والتهديد، واستخدام القوة لإسكات الحق عجزا منهم عن مواجهته بالحجة والإقناع. وقد جاء جواب الرسل أكثر إيجابية وحجة في إحصائهم حين قالوا لهم: ﴿ قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [يس: 19] "أي حظكم وما صار لكم من خير أو شر معكم، أي من أفعالكم، ليس هو من أجلنا بل بكفركم" (44).

وفي خضم هذا الحوار الذي دار بين الرسل وقومهم، وما حصل من تكذيب وعناد، تحركت الإيجابية والفطرة الربانية عند رجل من عامة الناس ذكره بعض المفسرين باسم حبيب النجار، يقول صاحب البحر المديد: "وهو حبيب النجار، وكان في غارٍ من الجبل يعبد الله، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم، وأظهر دينه" (45). ويقول القشيري: "في القصة أنه جاء من قرية فسماها مدينة، وقال: من أقصى المدينة، ولم يكن أقصاها وأدناها ليتفاوتا بكثير، ولكنه سبحانه أجرى سُنته في استكثار القليل من فعل عبده إذا كان يرضاه، ويستنزِرُ الكثير من فضله إذا بذله وأعطاه" (46). واشتهر بمؤمن آل ياسين، هذا الرجل جاء مسرعا من أطراف المدينة بحث الخطي للوصول إلى حاضرة المدينة، حيث الرسل هناك والقوم وجها لوجه، الباطل يقف أم الحق، والسلبية تحشد قوتها لمواجهة الفطرة الإيجابية، وفجأة يصل هذا الرجل مسرعا داعيا وناصحا لقومه باتباع الرسل ﴿ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَلْقَؤُمْ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴾ أَتَّبِعُوا مِنْ لَا يَسْعَدُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ [يس: 20-21].

لقد اتضح لنا من خلال هذه الآيات تلك الإيجابية الكامنة في هذا الرجل المحب لأُمته وقومه ومجتمعه، حين جاءهم ناصحا لهم باتباع الرسل، مبينا لهم أن هؤلاء الرسل لا يبتغون من وراء دعوتهم مصلحة مادية ولا جاه، وإنما يحملون الهداية والنجاة للقوم من عذاب الله، وتصحيح المعتقدات السلبية التي طغت عليها الأهواء والشهوات إلى المعتقدات الإيجابية النظيفة الهادئة المطمئنة التي ينال بها هؤلاء القوم السعادة الدنيوية والأخروية، كما نلاحظ أن ما أبداه هذا الرجل المؤمن من قوة في مواجهة الباطل لينبني عن مدى الطاقة الإيجابية الكامنة في نفسه القابلة للحق، وذلك من خلال صدحه بالحق أمام قومه، والظاهر أنه كان مؤمنا من قبل.

يقول أبو حيان رحمه الله: "ولما أمرهم باتباع المرسلين، أخذ بيدي الدليل في اتباعهم وعبادة الله، فأبرزه في صورة نصحه لنفسه، وهو يريد نصحهم ليتلطف بهم ويراد بهم ولأنه أدخل في إحاض⁽⁴⁷⁾ النصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه، فوضع قوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ وما لي لا؟ موضع: وما لكم لا تعبدون الذي فطرکم؟ ولذلك قال: ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ ولولا أنه قصد ذلك لقال: وإليه أرجع. ثم أتبع الكلام كذلك مخاطبا لنفسه فقال: أأخذ من دونه آلهة قاصرة عن كل شيء، لا تنفع ولا تضر؟ فإن أرادكم الله بضر، وشفعت لكم، لم تنفع شفاعتهم، ولم يقدرُوا على إنقاذكم فيه، أولا بانتفاء الجاه عن كون شفاعتهم لا تنفع، ثم ثانيا بانتفاء القدر. فعبّر بانتفاء الإنقاذ عنه، إذ هو نتيجته"⁽⁴⁸⁾.

إن الاستفهام الإنكاري التوبيخي في قوله: ﴿وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝﴾ وما بعده، أسلوب تربوي دعوي إيجابي نافع في مخاطبة الآخر، حيث يتم فيه إظهار الحق من خلال مخاطبة النفس بالقصور دون الآخر المقصود، وهذا الأسلوب يقرب الخصم من الحق دون أنفة أو إعراض. يقول صاحب أضواء البيان: "أي شيء ثبت لي يمنعني من أن أعبد الذي خلقتني، وابتدعني، وأبرزني من العدم إلى الوجود، وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من أن الذي يخلق هو وحده الذي يستحق أن يعبد وحده"⁽⁴⁹⁾.

وهذا التساؤل الذي قام به الرجل في قوله: ﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ هو تساؤل الفطرة الكامنة في الإنسان الإيجابي الذي لم يغيرها ولم يبدلها. يقول صاحب الظلال: "إن الفطر مجذوبة إلى الذي فطرها، تتجه إليه أول ما تتجه، فلا تنحرف عنه إلا بدافع آخر خارج على فطرتها. ولا تلتوي إلا بمؤثر آخر ليس من طبيعتها. والتوجه إلى الخالق هو الأولى، وهو الأول، وهو المتجه الذي لا يحتاج إلى عنصر خارج عن طبيعة النفس والجاذبا الفطري. والرجل المؤمن يحس هذا في قرارة نفسه، فيعبر عنه هذا التعبير الواضح البسيط، بلا تكلف ولا لف ولا تعقيد! وهو يحس بفطرته الصادقة الصافية كذلك أن المخلوق يرجع إلى الخالق في النهاية. كما يرجع كل شيء إلى مصدره الأصيل. فيقول: ﴿وَالَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (50).

أما قيمة الاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَتَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ﴾ (51) فهي قيمة بلاغية عظيمة أظهر من خلالها السلوك السلبي الذي انتهجه قومه تجاه الرسل وإيجابية الحق، حيث إنهم اتخذوا آلهة من دون الله لا تغن شفاعتهم، ولا يستطيعون إنقاذ أنفسهم ولا غيرهم ممن يعبدهم. وقد عبر عن هذا المضمون بانتقاده لنفسه وزجرها، دون أن يخاطب بهذا الزجر قومه مباشرة، فلم يقل لهم أنتم تتخذون من دون الله آلهة، وهذا أسلوب دعوي له قيمته في قبول الدعوة لدى الآخرين. يقول صاحب أضواء البيان: "الاستفهام في قوله تعالى: أَتَتَّخِذُ لِلْإِنكَارِ، وهو مضمن معنى النفي، أي: لا أعبد من دون الله معبودات، إن أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ لَا تَقْدِرُ عَلَى دَفْعِهِ عَنِّي، وَلَا تَقْدِرُ أَنْ تَنْقِذَنِي مِنْ كَرْبٍ. وما تضمنته هذه الآية الكريمة من عدم فائدة المعبودات من دون الله جاء موضحا في آيات أخرى من كتاب الله تعالى" (51).

وبعد أن قام هذا الرجل بإظهار الحق لقومه على سبيل العرض والنصح، صرخ بأعلى صوته مبينا بيانا عمليا بأنه آمن واتبع الرسل فقال: ﴿إِنِّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (52) ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (53) [يس: 24-25]. يقول ابن عطية رحمه الله: "ثم صدع رضي الله تعالى عنه بإيمانه وأعلن فقال: ﴿إِنِّي ءَامَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ (54) واختلف المفسرون في قوله ﴿فَاسْمَعُونِ﴾ (55) فقال ابن عباس

وكعب ووهب: خاطب بها قومه. قال القاضي أبو محمد: على جهة المبالغة والتنبيه، وقيل خاطب بها الرسل على جهة الاستشهاد بهم والاستحفاظ عندهم⁽⁵²⁾.

وهنا يظهر الحق جليا في دحر الباطل وإزهاقه، وانتصار النفس الإيجابية في قوتها ومبدئها على الكفر والطغيان والتكذيب، ولهذا كان العجز واضحا عند القوم في عدم قدرتهم على الرد؛ لهذا استخدموا القوة والجبروت ضد هذا الرجل المؤمن وقاموا بقتله وإسكاته ظانين أن قتله فيه إسكات للحق، وما علموا أن قتله لم يكن إلا نقطة تحول من هذه الدنيا الفانية التي لا تساوي عند الله شيئا، إلى جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، وأي تقوى أعظم من أن يقدم الإنسان نفسه رخيصة في سبيل الله وإظهار الحق. والملاحظ أن السياق القرآني حذف مشهدا من مشاهد المواجهة التي خاضها الرجل المؤمن مع قومه، وهو مشهد ردة الفعل التي حصلت من القوم تجاهه، لكننا استنتجنا ما حصل له من خلال الاستئناف البياني في قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْمُونَ ﴿٦٦﴾ بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [يس: 26-27]. والذي قال عنه ابن عاشور بأنه: "استئناف بياني لما ينتظره سامع القصة من معرفة ما لقيه من قومه بعد أن واجههم بذلك الخطاب الجزل. وهل اهتموا بهديه أو أعرضوا عنه وتركوه أو آذوه كما يؤذى أمثاله من الداعين إلى الحق المخالفين هوى الدهماء فيجاب بما دل عليه قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ﴾ وهو الأهم عند المسلمين وهم من المقصودين بمعرفة مثل هذا ليزدادوا يقينا وثباتا في إيمانهم، وأما المشركون فحظهم من المثل ما تقدم وما يأتي من قوله: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [يس: 29]"⁽⁵³⁾.

وأضاف ابن عطية قوله: "وهنا محذوف تواترت به الأحاديث والروايات، وهو أنهم قتلوه، واختلف كيف، فقال قتادة وغيره: رجموه بالحجارة، وقال عبد الله بن مسعود، مشوا عليه بأقدامهم حتى خرج قصبه من دبره، ف قيل له عند موته ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ ۖ﴾ وذلك والله أعلم بأن عرض عليه مقعده منها، وتحقق أنه من ساكنيها برؤيته ما أقر عينه، فلما تحصل له ذلك تمنى أن يعلم قومه بذلك، وقيل أراد بذلك الإشفاق والتنصح لهم، أي لو علموا بذلك لآمنوا بالله تعالى، وقيل أراد أن يعلموا ذلك فيندموا على فعلهم به ويخزنهم ذلك، وهذا موجود في جملة البشر إذا نال خيرا في بلد غربة ود أن يعلم ذلك جيرانه وأترابه الذين نشأ فيهم ولا سيما في الكرامات"⁽⁵⁴⁾.

وينتهي مشهد المواجهة بين الحق والباطل بانتصار الحق، وخذلان الباطل وسلبيته، ونرى القرآن الكريم يعبر عن النهاية الحتمية للباطل وأهله مهما تغطرس وتجبر بقوله: ﴿وَمَا أَرْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ [يس:28] ومعنى الآية كما جاء في التفسير الوسيط: "أي لم نزل على قوم المؤمن حبيب النجار من بعد قتلهم له، لدعوتهم إلى الإيمان بالله، جندا من الملائكة، وما كنا بحاجة إلى هذا الإنزال، بل كان الأمر أيسر علينا من ذلك، وقد سبق قضاؤنا بأن إهلاكهم بالصيحة، لا بإنزال الجند. وهذا لتحقير شأنهم، فإن إنزال الملائكة لعظام الأمور، وهؤلاء لا يحتاجون لإهلاكهم جندا من السماء، بل أهلكناهم بصيحة واحدة، كما قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس:29] أي ما كان إهلاكهم إلا بصيحة واحدة صاح بهم جبريل فأهلكهم فإذا هم أموات لا حراك بهم" (55).

وهذا دليل على أن الله أهلك أهل هذه القرية هلاكاً شاملاً لم يبق فيهم أحداً، بعد تكذيبهم للرسول، وقتلهم الرجل المؤمن الذي دعاهم للخير، والذي يظهر أن الرسل غادروا القرية دون أي استجابة من القوم لداعي الله، ناهيك عن سفكهم لدم ذلك الرجل الذي دعاهم إلى الخير والفضيلة والنجاة. يقول ابن كثير رحمه الله: "قَالَ المفسرون: بعث الله تعالى إليهم جبريل عليه الصلاة والسلام، فَأَخَذَ بَعْضَادِيَّ بَابِ بَلَدِهِمْ، ثُمَّ صَاحَ بِهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً، فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ لم تبق بهم رُوحٌ تَتَرَدَّدُ فِي جَسَدٍ" (56). وأضاف ابن عاشور رحمه الله في تفسيره: "وهذا يشير إلى حدث عظيم حدث بأهل أنطاكية عقب دعوة المرسلين وهو كرامة لشهداء أتباع عيسى عليه السلام، فإن كانت الصيحة صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود كان الذين خمدوا بها جميع أهل القرية فلعلهم كانوا كفاراً كلهم بعد موت الرجل الذي وعظهم وبعد مغادرة الرسل القرية. ولكن مثل هذا الحادث لم يذكر التاريخ حدوثه في أنطاكية، فيجوز أن يهمل التاريخ بعض الحوادث وخاصة في أزمنة الاضطراب والفتنة" (57).

وبعد أن ذكر نهاية كل مكذب بالله ورسله، أتبع ذلك بالحسرة والندامة على أولئك الناس الذين يغيرون فطرتهم الإيجابية، وينتكسون في وحل السلبية، فيمشون في طريق غير التي رسمها الله لهم وبينها، فقال متحسرا عليهم: ﴿يَحْسَرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس:30] أي: وأسفا على قوم أرسلت لهم رسلي مخلصين لهم من العذاب، داعين إياهم إلى النور والإيمان، فما كان منهم إلا أن كذبوهم وقتلوهم وبهذا استحقوا الهلاك في الدنيا، والعذاب الأليم في الآخرة.

جاء في الظلال: "والحسرة انفعال نفسي على حال مؤسفة لا يملك الإنسان شيئا حيالها، سوى أن يتحسر وتألم نفسه. والله سبحانه وتعالى - لا يتحسر على العباد ولكنه يقرر أن حالة هؤلاء العباد مما يستحق حسرة المتحسرين! فهي حال بائسة مؤسفة تنتهي بأصحابها إلى شر وخيم وبلاء عظيم! يا حسرة على العباد تتاح لهم فرصة النجاة فيعرضون عنها، وأمامهم مصارع الهالكين قبلهم لا يتدبرونها ولا ينتفعون بها. ويفتح الله لهم أبواب رحمته بإرسال الرسل إليهم الحين بعد الحين ولكنهم يتجافون أبواب الرحمة ويسئئون الأدب مع الله" (58).

ثم أردف ذلك بالاستفهام الإنكاري التوبيخي موجها إياهم كونهم لم يستخدموا عقولهم في التفكير والنظر في أحوال من سبقهم من الأمم المكذبة، وفي هذا الإنكار تضمين لمدى غبائهم وسلبيتهم في عدم أخذهم للعظة والعبرة ممن سبقهم من الأمم فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:31] يقول ابن عاشور: "والاستفهام يجوز أن يكون إنكاريا نزلت غفلتهم عن إهلاك القرون منزلة عدم العلم فأنكر عليهم عدم العلم بذلك وهو أمر معلوم مشهور، ويجوز كون الاستفهام تقريرا بني التقرير على نفي العلم بإهلاك القرآن استقصاء لمعذرتهم حتى لا يسعهم إلا الإقرار بأنهم عالمون فيكون إقرارهم أشد لزوما لهم لأنهم استفهموا على النفي فكان يسعهم أن ينفوا ذلك" (59).

والعتاب واضح في هذه الآية لأولئك القوم الذين لا ينتفعون بعقولهم ولا يتدبرون آثار غيرهم من الأمم التي سبقتهم. يقول سيد قطب: "ولقد كان في هلاك الأولين الداهيين لا يرجعون، على مدار السنين وتطاول القرون. لقد كان في هذا عظة لمن يتدبر. ولكن العباد البائسين لا

يتدبرون. وهم صائرون إلى ذات المصير. فأية حالة تدعو إلى الحسرة كهذا الحال الأسيف؟! إن الحيوان ليرجف حين يرى مصرع أخيه أمامه ويحاول أن يتوقاه قدر ما يستطيع. فما بال الإنسان يرى المصارع تلو المصارع، ثم يسير مندفعاً في ذات الطريق؟ والغرور يملئ له ويخدعه عن رؤية المصير المطروق! وهذا الخط الطويل من مصارع القرون معروض على الأنظار ولكن العباد كأنهم عمي لا يبصرون! وإذا كان المالكون الذاهبون لا يرجعون إلى خلفائهم المتأخرين، فإنهم ليسوا بمتروكين ولا مفلتين من حساب الله بعد حين⁽⁶⁰⁾.

ثم بين سبحانه قدرته على جمع الخلق قاطبة يوم المحشر فقال: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس:32] يقول أبو السعود رحمه الله: "بيان لرجوع الكل إلى المحشر بعد بيان عدم الرجوع إلى الدنيا"⁽⁶¹⁾.

مما سبق ندرك مدى الإيجابية في نفوس أولئك الأنبياء الذين أرادوا الخير لقومهم، ثم الدور الإيجابي الذي مثله ذلك الرجل مؤمن آل ياسين (حبيب النجار) وقدم نفسه رخيصة في سبيل الدعوة، وكيف أشرقت تلك النفس الإيجابية في الدعوة إلى الله وقدمت نفسها رخيصة لله وفي سبيله، ثم تجلت الإيجابية بعد موته حين تمنى أن قومه يعلمون ما أعطاه الله من نعيم مقيم وتنى لو يعلمون ذلك فيتبعون الحق المبين، فهذه النفس لم تكن حاقدة على من قتلها، ولم تتمن لهم العذاب الأليم، بل تمننت لهم أن يتوبوا ويتبعوا الرسل لينالوا ما نالت من النعيم المقيم.

الموضوع الثالث: إيجابية التفكير في آفاق الكون المنظور:

أطلق القرآن الكريم الطاقة العقلية الكامنة، ووجهها للتفكير في جنبات الكون المنظور، حيث طاف بالعقل في ملكوت السماوات والأرض: إلى أرضه، وشمسه، وقمره، ونجومه وأفلاكه فقال: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ أَلَمِيتُهُ أَحْيَيْتَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يونس: 33] وَاعْتَبِرْ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ [يس: 33-35] من خلال الآيات السابقة دعا الله سبحانه وتعالى العقل البشري أن يوجه قدراته الإيجابية إلى التفكير بحقائق الكون وأسراره، ومن هذا الكون كوكب الأرض وما فيه من حياة ومعيشة صالحة للحياة، فلفت العقل إلى التدبر في الأرض الميتة الجذباء كيف يحييها الله عند نزول المطر، وكيف

تصبح رياضاً خضراً تسر الناظرين، ويشبع من خيرها كل إنسان وحيوان وطيور ودابة تعيش عليها. جاء في لطائف الإشارات: "لما كان أمر البعث أعظم شبههم، وكثر فيه إنكارهم كان تكرر الله سبحانه لحديث البعث، وقد ضرب - سبحانه - المثل له بإحياء الأرض بالنبات في الكثير من الآيات" (62). والآيات فيها إرشاد قوي لإطلاق الطاقة الإيجابية للعمل والكسب، وزراعة الأرض وحرثها وتقليبها، والأكل من محاصيلها، وهي طاقة إيجابية قوية في بناء الحياة واستمرارها، وهذا ما نستشفه من قوله: ﴿وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٥).

يقول الزمخشري رحمه الله: "يأكلون مما خلقه الله من الثمر ومن ما عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ من الغرس والسقي والآبار، وغير ذلك من الأعمال إلى أن بلغ الثمر منتهاه وإبان أكله، يعنى أنّ الثمر في نفسه فعل الله وخلق، وفيه آثار من كد بني آدم، وأصله من ثمرنا" (63).

إن التفكير في حياة الأرض عند نزول المطر عليها، وانبعثت الحياة فيها دليل إيجابي على قدرة الله على إعادة الحياة في الجماد، وهذا فيه إشارة واضحة المعالم لأولئك الذين يعملون عقولهم في التدبر الإيجابي الذي يقود إلى معرفة الله سبحانه وتعالى، فحركة النبات وانتشار الروض والخمائل، وانبعثت الحياة في كل الكائنات والحشرات مع حياة الأرض، قدرة عظيمة تقود العقل نحو الإيمان والتفكير في عظمة الخالق سبحانه وتعالى. يقول سيد قطب: "إن رؤية الزرع النامي، والجنان الوارفة، والثمر اللين، لتفتح العين والقلب على يد الله المبدعة، وهي تشق التربة عن النبتة المتطلعة للحرية والنور، وتنضج العود المستشرف للشمس والضياء، وتزين الغصن اللدن بالورق والثمار، وتفتح الزهرة وتنضج الثمرة، وتهينها للجني والقطاف" ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمَلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾... ويد الله هي التي أقدرتهم على العمل، كما أقدرت الزرع على الحياة والنماء! ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ (٣٥). فهذه الجنان الوارفة المنبعثة عن الأرض الميتة، وما ينتج عنها من ثمار يانعة، وأثمار تتفجر من تحتها، كل هذه النعم العظيمة التي أودعها الله هذه الأرض تستحق الشكر لله عز وجل على نعمه وفضله، وقد جاء الحث على شكر المنعم بعد بيان هذه النعم؛ للدلالة على أن العقول الإيجابية هي التي تحافظ على هذه النعم، وتشكر من أسداها، فالشكر سبب في زيادة النعم وتفضل المنعم.

ولما كان شكر المنعم عبادة جليلة يغفل عنها الكثير من الناس، أعقب ذلك بالحث على تنزيه وتقديس وتسبيح الخالق سبحانه وتعالى فقال: ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣٦) .

والمقصود بالأزواج كلها: "أي الأصناف كلها، مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ، من الثَّمَارِ وَالْحَبُوبِ، وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ، يَعْنِي الذُّكُورَ وَالْإِنَاثَ، وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ، مِمَّا خَلَقَ مِنَ الْأَشْيَاءِ مِنْ دَوَابِّ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ" (٦٥).

وبعد أن بين إيجابية التفكير في حياة الأرض، الذي يقود إلى شكر المنعم على هذه النعم التي تزخر بها الأرض من صنوف الفواكه والمزروعات، أعقب ذلك بحث العقل على التفكير في عالم السماء وما يصاحب هذا من حركة الليل والنهار، والشمس والقمر فقال: ﴿وَأَيَّاهُ لَئِلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) [يس: 37-38] هذه الآيات الكونية العظيمة الخارجة عن سيطرة الإنسان، المشاهدة للأنام، هي آيات كونية دقيقة منظمة غير قابلة للخلل أو السلبية، بل هي إيجابية الحركة والتكوين، تقود العقل الإيجابي نحو معرفة الخالق سبحانه من خلال آثاره في جنبات الكون المنظور.

يقول سيد قطب: "ومشهد قدوم الليل، والنور يختفي والظلمة تغشى.. مشهد مكرور يراه الناس في كل بقعة في خلال أربع وعشرين ساعة (فيما عدا بعض المواقع التي يدوم فيها النهار كما يدوم فيها الليل أسابيع وأشهر قرب القطبين في الشمال والجنوب) وهو مع تكراره اليومي عجيبة تدعو إلى التأمل والتفكير. والتعبير القرآني عن هذه الظاهرة- في هذا الموضع- تعبير فريد. فهو يصور النهار متلبسا بالليل ثم ينزع الله النهار من الليل فإذا هم مظلومون. ولعلنا ندرك شيئا من سر هذا التعبير الفريد حين نتصور الأمر على حقيقته. فالأرض الكروية في دورتها حول نفسها في مواجهة الشمس تمر كل نقطة منها بالشمس فإذا هذه النقطة نهار حتى إذا دارت الأرض وانزوت تلك النقطة عن الشمس، انسلخ منها النهار ولفها الظلام- وهكذا تتوالى هذه الظاهرة على كل نقطة بانتظام وكأنما نور النهار ينزع أو يسلك فيحل محله الظلام" (٦٦).

وبعد أن بين عظمة التفكير في حياة الأرض، وحركة الليل والنهار، أردف ذلك بحث العقل على التفكير في حركة الشمس وجرياتها فقال: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس:38] يقول الرازي رحمه الله: "إشارة إلى سبب سلخ النهار فإنها تجري لمستقر لها وهو وقت الغروب فينسلخ النهار، وفائدة ذكر السبب هو أن الله لما قال نسلخ منه النهار وكان غير بعيد من الجهال أن يقول قائل منهم سلخ النهار ليس من الله إنما يسلخ النهار بغروب الشمس فقال تعالى: والشمس تجري لمستقر لها بأمر الله فمغرب الشمس سالخ للنهار فبذكر السبب يتبين صحة الدعوى"⁽⁶⁷⁾. والتفكر في حركة الشمس آية تقود العقل إلى الإيجابية التي تعرفه بالخالق سبحانه وتعالى.

ثم جاء الحث على التفكير في حركة القمر ومنازله التي تكون في كل شهر قمري، حيث يبدأ القمر محاقاً ثم يكبر شيئاً فشيئاً حتى يصير هلالاً ثم بدرًا، ثم يبدأ بالتناقص من جديد حتى يعود محاقاً كما كان، وقد شبه القرآن هذه الظاهرة الكونية للقمر بقوله: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ والعرجون القديم: هو عذق النخلة عندما يبس ويلتوي، ويقال: "هو قنو النخلة ما بين الشماريخ إلى منبته منها، وهو الذي يحمل ثمار النخلة سواء أكانت تلك الثمار مستوية أم غير مستوية. وسمى عرجونا من الانعراج، وهو الانعطاف والتقوس، شبه به القمر في دقته وتقوسه واصفراره"⁽⁶⁸⁾. والتفكر في دقة حركة القمر وتنقله بين المنازل أمر يدعو للدهشة والإعجاب بعظمة الصانع الكريم سبحانه وتعالى والإيمان به، فهو يشبه لحد كبير حركة عمر الإنسان في هذه الدنيا منذ البداية وحتى النهاية.

وبعد أن أرشد العقل للنظر في حركة منازل القمر أردف ذلك ببيان قدرة الخالق على تسيير هذا الكون العجيب بكل دقة وانتظام من خلال حركة الأجرام المشاهدة من شمس وقمر وما ينتج عن ذلك من ليل ونهار، فقال: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يقول السعدي رحمه الله: "﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ أي: في سلطانه الذي هو الليل، فلا يمكن أن توجد الشمس في الليل، ﴿وَلَا آيِلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ فيدخل عليه قبل انقضاء سلطانه، ﴿وَكُلٌّ﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ أي: يترددون على

الدوام، فكل هذا دليل ظاهر، وبرهان باهر، على عظمة الخالق، وعظمة أوصافه، خصوصاً وصف القدرة والحكمة والعلم في هذا الموضوع⁽⁶⁹⁾. فكل هذه الآيات الكونية قائمة على الإيجابية، والتفكير في حركتها وخلقها وعملها يقود العقل إلى الإيجابية التي تقود الإنسان إلى معرفة الخالق سبحانه وتعالى.

وبعد أن وجه العقل للتأمل والتدبر في حركة الكون العلوي، أردف ذلك بالحث على التفكير في عالم البحار وحركة السفن وهي تمخر عباب الماء وتطفو عليه دون أن يغرقها. فقال تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ۝﴾ يقول ابن عاشور: "وقد ذكر الله الناس بآية عظيمة اشتهرت حتى كانت كالمشاهدة عندهم وهي آية إلهام نوح صنع السفينة ليحمل الناس الذين آمنوا ويحمل من كل أنواع الحيوان زوجين لينجي الأنواع من الهلاك والاضمحلال بالغرق في حادث الطوفان"⁽⁷⁰⁾.

وهذه الحادثة كفيلة لو تدبرها الإنسان ببيان قدرة الله سبحانه وتعالى في العناية بالخلق، حيث نجى الله من كل نوع من الخلق زوجين اثنين - ذكر وأنثى - ليكونوا نواة بقاء النوع للمخلوقات على الأرض بعد الطوفان. وقد ألهم الله نبيه نوحاً عليه السلام لعمل السفينة، وهو عمل إيجابي اتخذته البشرية بعد ذلك وسيلة للنقل والمواصلات، وحركة البضائع بين قطر وآخر، ولهذا قال: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ۝﴾ يقول الشوكاني رحمه الله: "وخلقنا لهم سفناً أمثال تلك السفن يركبونها... وهي السفن المتخذة بعد سفينة نوح"⁽⁷¹⁾. ثم امتن عليهم سبحانه بأنه أنقذهم من الغرق ولو أراد إهلاكهم لفعل، ولن يجدوا لهم نصيراً ولا منقذاً من الهلاك. فقال: ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ۝﴾ ولن يجدوا إلا رحمة ربهم وهي التي أنقذتهم من الهلاك، وهو المستحق للشكر وحده على هذا الإنقاذ.

وتتكرر إيجابية التفكير في مخلوقات الله من خلال عالم الحيوان والأنعام فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِن مَّاءٍ عَمَلَكَ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ۝ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۝ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝﴾ [يس: 71-73]. فالتدبر في عالم الحيوان أمر يدعو للدهشة والعبرة، فهناك الحيوان الضخم كالجمال والبقر لولم يجعلها الله حيوانات أليفة لقتلت الإنسان بقوتها

وضخامتها. يقول المراغي رحمه الله: "أولم يشاهد هؤلاء المشركون بالله الأصنام والأوثان: أنا خلقنا لهم بقدرتنا وإرادتنا بلا معين ولا ظهير - أنعاما من الإبل والبقر والغنم يصرفونها كما شاءوا بالقهر والغلبة، فهي ذليلة منقادة لهم، فالجارية الصغيرة إن شاءت أناخت البازل الكبير، وإن شاءت ساقته وصرفته كما تريد، قال العباس بن مرداس:

وتضر به الوليدة بالهراوى ... فلا غير لديه ولا نكير"⁽⁷²⁾.

أما النتائج الإيجابية التي يجنيها العقل البشري من هذا التفكير الإيجابي في عالم الأنعام فهي معرفة الله من خلال كل منفعة ينتفعها الإنسان من هذا الحيوان المدلل المسخر المذل. يقول سيد قطب رحمه الله: "وحين ينظر الإنسان إلى الأمر بهذه العين وفي هذا الضوء الذي يشيعه القرآن الكريم. فإنه يحس لتوه أنه مغمور بفيض من نعم الله. فيض يتمثل في كل شيء حوله. وتصبح كل مرة يركب فيها دابة، أو يأكل قطعة من لحم، أو يشرب جرعة من لبن، أو يتناول قطعة من سمن أو جبن. أو يلبس ثوبا من شعر أو صوف أو وبر.. إلى آخره إلى آخره.. لمسة وجدانية تشعر قلبه بوجود الخالق ورحمته ونعمته. ويطرده هذا في كل ما تمس يده من أشياء حوله، وكل ما يستخدمه من حي أو جامد في هذا الكون الكبير. وتعود حياته كلها تسبيحا لله وحمدا وعبادة آناء الليل وأطراف النهار... ولكن الناس لا يشكرون"⁽⁷³⁾.

الموضوع الرابع: الإيجابية المنهجية والخلقية للإنسان:

يرسم الله المنهج للإنسان في هذه الحياة من خلال رسله التي تأتي بين حين وآخر لتذكر الإنسان بمنهج الله وشرع الله وأن لا معبود إلا الله، وقد نزلت الكتب السماوية تتضمن هذه القضايا الرئيسة في منهج حياة البشر، وفي القرآن الكريم توجيهات إلهية واضحة ترسم معالم المنهج البشري في حياتهم الدنيا، وفي سورة يس نلاحظ هذا المنهج من خلال قوله تعالى: ﴿لَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ۖ وَإِنْ أُعْبِدُونِي ۖ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٥١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ٥٢﴾ [يس: 60-62] يقول الشيخ الصابوني عن تفسير هذه الآيات: "الاستفهام للتوبيخ والتفريع، وهو توبيخ للكفرة الجحريين أي ألم أوصكم وأمركم يا بني آدم على السنة رسلي ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ أي ألا تطيعوا الشيطان فيما دعاكم إليه من معصيتي؟

﴿ إِنَّهُ لَكُمُ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٠ ﴾ تعليلٌ للنهي أي لأنه عدوٌ لكم ظاهر العداوة، فكيف يطيع الإنسان عدوه؟ ﴿ وَإِنْ أَعْبُدُونِي ٦١ ﴾ أي وأمرتكم بأن تعبدوني وحدي، بتوحيدي وطاعتي وامتنال أمري ﴿ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦٢ ﴾ أي هذا هو الدين الصحيح، والطريق الحق المستقيم ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ٦٣ ﴾ تأكيد للتعليل أي ولقد أضلَّ الشيطان خلقاً منكم كثيرين، وأغواهم عن سلوك طريق الحق " (74) .

ومن الإيجابية الفكرية في هذه السورة الكريمة هو النظر والتفكير في قضية خلق الإنسان، هذا الخلق الدقيق المعقد التركيب والتكوين يستدعي العقل للتأمل في بديع صنع الخالق سبحانه وتعالى وقد جاء لفت النظر للعقل في هذه السورة للتفكير الإيجابي في خلق الإنسان في أكثر من موطن. قال تعالى: ﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ٦٨ ﴾ [يس: 68] إن مراحل حياة الإنسان تشبه لحد بعيد مراحل منازل القمر التي ذكرناها من قبل، فهو يبدأ جنينا صغيرا منحنيا في بطن أمه، ثم رضيعا ثم طفليما ثم طفلا ثم شابا ثم رجلا في أعلى درجات القوة، ثم يبدأ الانحدار العكسي وتبدأ الشيخوخة تتقدم شيئا فشيئا حتى يعود منحنيا كما بدأ، ويفقد كثيرا من العلم والفهم والإدراك حتى يبدو كأنه طفلا صغيرا، هذه المرحلة بين البداية والنهاية، هي مرحلة عمر الإنسان الذي يقضيه على هذه الأرض، وهي المرحلة التي يتاجر فيها الإنسان مع الله خيرا أو شرا، وهي مرحلة قصيرة ما بين الستين والسبعين وقليل من يمتد به العمر إلى المائة، وهناك من يموت مبكرا حسب الأجل الذي رسمه الله له. وقوله: ﴿ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ٦٨ ﴾ هو حث للعقل على التدبر والتفكير في صنع الخالق سبحانه وتعالى للإنسان، وحث العقل للنظر والتدبر في خلق الإنسان جاء صراحة في قوله تعالى: ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ٦٩ ﴾ [الذاريات: 21]

يقول سيد قطب عن هذه المرحلة: "والشيخوخة نكسة إلى الطفولة. بغير ملاحظة الطفولة وبراءتها المحبوبة! وما يزال الشيخ يتراجع، وينسى ما علم، وتضعف أعصابه، ويضعف فكره، ويضعف احتماله، حتى يرتد طفلا. ولكن الطفل محبوب اللثغة، تبسم له القلوب والوجوه عند كل حماقة. والشيخ محتوى لا تقال له عثرة إلا من عطف ورحمة، وهو مثار السخرية كلما بدت عليه مخايل الطفولة وهو عجوز. وكلما استحمق وقد قوست ظهره السنون!" (75).

ثم يبين سبحانه وتعالى في هذه السورة الكريمة أساس الخلقة الإنسانية للتكاثر الذي عليه الخلق بعد الخلق الأول آدم عليه السلام، فحث العقل بأسلوب استفهامي مفاده مواجهة الإنسان بأصله وذاته، والتدبر هنا يعطي القيمة الحقيقية لكل من يريد الخروج على فطرته التي فطره الله عليها فقال: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) فأصل الإنسان نطفة مهينة يستقذرها الإنسان على ثوبه، فكيف به يتجرأ بالتكبر والتجبر والتبختر على الناس، مبارزا للذي خلقه بالمعاصي والسيئات. يقول سيد قطب: "فما النطفة التي لا يشك الإنسان في أنها أصله القريب؟ إنها نقطة من ماء مهين، لا قوام ولا قيمة! نقطة من ماء تحوي ألوف الخلايا.. خلية واحدة من هذه الألوف هي التي تصير جنينا. ثم تصير هذا الإنسان الذي يجادل ربه ويخاصمه ويطلب منه البرهان والدليل! والقدرة الخالقة هي التي تجعل من هذه النطفة ذلك الخصيم المبين. وما أبعد النقلة بين المنشأ والمصير! أفهذه القدرة يستعظم الإنسان عليها أن تعيده وتنشده بعد البلى والدثور" (76).

وبعد بيان أصل خلق الإنسان، انتقل إلى بيان أنموذج من نماذج الإنسان السلبي الذي انحرفت فطرته عن مسارها، فقال: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) يقول ابن عاشور: "فقل أريد بالإنسان أبي بن خلف. وقيل أريد به العاصي بن وائل، وقيل أبو جهل، وفي ذلك روايات بأسانيد، ولعل ذلك تكرر مرات تولى كل واحد من هؤلاء بعضها. قالوا في الروايات: جاء أحد هؤلاء الثلاثة إلى رسول الله ﷺ في يده عظم إنسان رميم ففته وذراه في الريح وقال: يا محمد أترعم أن الله يحيي هذا بعد ما أرم (أي بلي) فقال له النبي ﷺ نعم يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم" (77).

هذه القصة تمثل أنموذج الإنسان السلبي الذي لم يستخدم عقله في التفكير الإيجابي الذي يقوده لمعرفة الله سبحانه وتعالى، وبدلا من الشكر لله الذي خلق فسوى وقدر فهدى، نرى هذا النموذج الإنساني السلبي يستبعد حصول البعث للعظام النخرة من جديد، فجاء الرد قويا يبين له أن الذي خلق العظام أول مرة من عدم، هو قادر على إعادتها من جديد، والإعادة أسهل من البداية.

ثم شرع يفصل قدرة الخالق سبحانه في الخلق والإبداع، لافتنا العقل للنظر والتدبر في كل ما يحيط به من أرض وسماوات وأشجار ووهاد، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾﴾ كل ما سبق في هذه الآيات هي دلالات كونية عظيمة تستحق شكر المنعم الذي أنعمها على عباده، من هذه النعم نعمة الحرارة التي نوقد بها، كما هو حاصل في أعواد الكبريت حديثا. يقول ابن عاشور عن هذا الشجر: "والمراد بالشجر هنا: شجر المرخ (بفتح الميم وسكون الراء) وشجر العفار (بفتح العين المهملة وفتح الفاء) فهما شجران يقتدح بأغصانهما يؤخذ غصن من هذا وغصن من الآخر بمقدار المسواك وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ على العفار فتتقدح النار" (78).

ثم ختم السورة باستفهام إنكاري تويخي على تفكيرهم السليبي الذي قادهم إلى الكفر والشك، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ هل يعجز الذي خلق السماوات والأرض عن خلقهم وهم أقل وأضعف، فيأتي الرد قويا بالإيجاب. يقول الألوسي: "والهمزة للإنكار والنفي والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أليس الذي أنشاها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا وليس الذي خلق السماوات والأرض مع كبر جرمهما وعظم شأنهما بقادرٍ على أن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ في الصغر والحقارة بالنسبة إليهما على أن المراد بمثلهم هم وأمثالهم أو على أن المراد به هم أنفسهم بطريق الكناية كما في مثلك يفعل كذا" (79). ثم يؤكد قوة مشيئته وقدرته بأنه يوجد الشيء بكلمة (كن) فتكون في الحال بقدرته، ولهذا استحق سبحانه وتعالى التنزيه والتسبيح لأنه مالك السموات والأرض وما بينهما وما فيهما من الخلق والإبداع.

الخاتمة والاستنتاج:

بعد الغوص في أعماق السورة الكريمة (سورة يس) وما فيها من تربية وإرشاد دعوي إيجابي لبناء الشخصية الإيجابية المتكاملة، حيث تصدرت هذه السورة الكريمة بالثناء على النبي ﷺ ورسالته العالمية، ثم تناولت جانبا من مسيرة الأنبياء والدعاة الحافلة بتقديم الخير والنصح الإيجابي لقومهم، كما احتوت السورة الكريمة على حث العقل ودعوته للتدبر والتفكر في أرجاء الكون المنظور، وما فيه من أجرام وسماوات وأرض وجبال ووهاد وسفن وبحار، كل ذلك يقود للإيجابية المطلقة التي ينتج عنها الإيمان بالخالق المعبود سبحانه وتعالى، فالإيجابية معلم مهم من معالم التربية القرآنية، كونها أساس النهضة في بناء المجتمعات، والنهضة الحضارية للأمة، لأنها حالة في النفس تجعل صاحبها مهنوما بتنفيذ أمر ما يعود بالخير والنفع على الأمة، لا يألو جهدا في السعي والعمل من أجل تحقيق مصالح عامة، واستعرضت السورة الكريمة توجيه العقل للتفكر في خلق الإنسان، ومسيرته الحياتية التي تنتهي بالموت، ثم البعث والنشور، وما في هذا التفكر من أبعاد تقود الإنسان للعمل الإيجابي في هذه الدنيا حتى يظفر برضاء الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

وقد خرج البحث بالعديد من التوصيات أهمها:

- 1- الاهتمام بالدراسات القرآنية وخاصة الدراسات الموضوعية التي نكتشف من خلالها الجانب الإيجابي في بناء الشخصية المسلمة الإيجابية.
- 2- دراسة الموضوعات القرآنية التي تنمي العقل من خلال التفكير الإيجابي السليم الذي يقود إلى رسوخ العقيدة وثبات المبادئ.
- 3- الاقتداء برسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والتعلم منهم إيجابية التخاطب في عرض دعوة الله على الآخرين.
- 4- ترسيخ مبدأ "الرجال يعرفون بالحق، وليس الحق يعرف بالرجال" وذلك من خلال الموقف الإيجابي لمؤمن آل ياسين "حبيب النجار" وكيف خلده القرآن آيات تتلى نتيجة الموقف الإيجابي الذي سلكه. وأخيراً أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت في تقديم بعض الشيء لخدمة كتاب الله تعالى من خلال هذا البحث، وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات من قرأه فنفعي بما يصحح خطأه، أو يقيم بناءه، إنه سميع مجيب. وآخر دعوانا ما ابتدأنا أن الحمد لله رب العالمين.

- ¹ ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد عمر: (2401/3)
- ² صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي: (57/3) حديث رقم (2074) بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ.
- ³ صحيح البخاري: (7/1) حديث رقم (3) باب بدء الوحي.
- ⁴ تفسير الشعراوي: الشعراوي، محمد متولي الشعراوي: (8101/13)
- ⁵ تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي: (505/4)
- ⁶ الأدب المفرد: البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري: (168) حديث رقم (479) قال الشيخ الألباني: صحيح.
- ⁷ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي: (390/1)
- ⁸ التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي: (341/22)
- ⁹ التحرير والتنوير: (341/22)
- ¹⁰ صحيح البخاري: (122/6)
- ¹¹ سنن أبي داود: أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: (160/3) قال الألباني عن هذا الحديث: (ضعيف)
- ¹² سنن الترمذي: الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى: (12/5)
- ¹³ لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن: (3/4)
- ¹⁴ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (390/1)
- ¹⁵ التحرير والتنوير: (342/22)
- ¹⁶ التحرير والتنوير: (342-341/22)
- ¹⁷ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي: (445/4)
- ¹⁸ بصائر ذوي التمييز: (390/1)
- ¹⁹ التحرير والتنوير: (341/22)
- ²⁰ - سنن الترمذي: (216/5) حديث رقم (3226) قال عنه الترمذي: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ الثَّوْرِيِّ وَأَبُو سُفْيَانَ هُوَ طَرِيفُ السَّعْدِيِّ"
- ²¹ التحرير والتنوير: (341/22)
- ²² مسند الدارمي: الدارمي، الإمام أبو مُحَمَّد عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَضْلِ الدَّارِمِيِّ: (2150/4) حديث رقم (3460) باب في فضل يس
- ²³ سنن الترمذي: (12/5) حديث رقم (2887). وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَبِالْبَصَرَةِ لَا يَعْرِفُونَ مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ إِلَّا مِنْ هَذَا الْوَجْهِ. وَهَارُونَ أَبُو مُحَمَّدٍ شَيْخٌ جَاهِلٌ.
- ²⁴ مسند الدارمي: (2150/4) حديث رقم (3461) باب في فضل يس

- ²⁵ مسند الدارمي: (2148/4) باب في فضل يس.
- ²⁶ مسند الإمام أحمد: ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني: (390/2) حديث رقم (390). قال عنه شعيب الأرناؤوط: "إسناده ضعيف. حنش- وهو ابن المعتمر، ويقال: ابن ربيعة الكوفي- الأكثرون على تضعيفه، وقال ابن حبان في "المجروحين" كان كثير الوهم في الأخبار، ينفرد عن علي بأشياء لا تشبه حديث الثقات، حتى صار ممن لا يحتج بحديثه"
- ²⁷ مسند الإمام أحمد بن حنبل: (171/28) حديث رقم (16968). قال عنه الأرناؤوط: "أثر إسناده حسن، وإجماع المشيخة لا يضر... وحسن إسناده الحافظ في "الإصابة" (ترجمة غُضَيْف)، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الصحيح غير غُضَيْف فروايته عند أصحاب السنن ما عدا الترمذي. وصالح بن شريح السكوني أحد رجال المشيخة روى عنه جمع، وذكره ابن حبان في "الثقات"، لكن قال أبو زرعة- كما في "المرح والتعديل" مجهول"، ولم يحك فيه البخاري جرحاً ولا تعديلاً.
- ²⁸ مسند الدارمي: (2151/4) حديث رقم (3462) باب في فضل سورة يس
- ²⁹ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: (390/1)
- ³⁰ مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلْإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي: (390/2)
- ³¹ ينظر: في ظلال القرآن: قطب، سيد قطب إبراهيم: (2956/5)
- ³² أسرار ترتيب القرآن: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: (126)
- ³³ تفسير المراغي: المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي: (144/22)
- ³⁴ الدر الرصين في تفسير سورة يس دراسة تحليلية موضوعية: الجميلي، الدكتور صديق خليل الصالح الجميلي: (19)
- ³⁵ ينظر: أسرار ترتيب القرآن: (127)
- ³⁶ تفسير المراغي: (41/23)
- ³⁷ مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (250/26)
- ³⁸ التحرير والتنوير: (344/22 - 345)
- ³⁹ ينظر: أحكام القرآن: ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي: (19-18/4)
- ⁴⁰ ينظر: أوضح التفاسير: ابن الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب: (536)
- ⁴¹ التفسير المنير في العقيدة والشرعة والمنهج: الزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي: (296/22)
- ⁴² ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشرعة والمنهج: (43/23)
- ⁴³ ينظر: التحرير والتنوير: (358/22)
- ⁴⁴ البحر المحيط في التفسير: أبو حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين: (54/9)
- ⁴⁵ البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجزي الفاسي: (564/4)
- ⁴⁶ لطائف الإشارات: القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري: (76/3)
- ⁴⁷ الحوض: اللبن الخالص بلا رغو. والحوض من كل شيء: الخالص.

- 48 البحر المحيط في التفسير: (56/9)
- 49 أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي: (293/6)
- 50 في ظلال القرآن: (2963/5)
- 51 أضواء البيان: (294/6)
- 52 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (451/4)
- 53 التحرير والتنوير: (370/22)
- 54 المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (451/4)
- 55 التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: (7/23)
- 56 تفسير القرآن العظيم: (509/6)
- 57 التحرير والتنوير: (7/23)
- 58 في ظلال القرآن: (2966/5)
- 59 التحرير والتنوير: (10/23)
- 60 في ظلال القرآن: (2967/5)
- 61 إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: العمادي، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى: (166/7)
- 62 لطائف الإشارات: (77/3)
- 63 الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله: (15/4)
- 64 في ظلال القرآن: (2967/5)
- 65 معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي: (13/4)
- 66 في ظلال القرآن: (2968/5)
- 67 مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): (276/26)
- 68 التفسير الوسيط للقرآن الكريم: طنطاوي، محمد سيد طنطاوي: (34/12)
- 69 تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي): السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي: (695)
- 70 التحرير والتنوير: (26/23)
- 71 ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن: القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان البخاري القنوجي: (299/11)
- 72 تفسير المراغي: (32-23)
- 73 في ظلال القرآن: (2976/5)
- 74 صفوة التفاسير: الصابوني، محمد علي الصابوني: (19/3)
- 75 في ظلال القرآن: (2973/5)
- 76 في ظلال القرآن: (2977/5)
- 77 التحرير والتنوير: (73/33)
- 78 التحرير والتنوير: (77/23)

⁷⁹ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي: (54/12)

قائمة المراجع والمصادر:

1. أحكام القرآن: ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (المتوفى: 543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط3، 1424هـ - 2003 م.
2. الأدب المفرد: البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري (المتوفى: 256هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط3، 1409هـ - 1989م.
3. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: العمادي، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
4. أسرار ترتيب القرآن: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطاء، مرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير - القاهرة.
5. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الحكي الشنقيطي (المتوفى: 1393هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع - بيروت - لبنان، 1415 هـ - 1995م.
6. أوضح التفاسير: ابن الخطيب، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط6، 1383 هـ - 1964م.
7. البحر المحيط في التفسير: أبو حيان، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر - بيروت، 1420هـ.
8. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسي الأنجزي الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، طبع على نفقة الدكتور حسن عباس زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ط1، 1419هـ - 1999م.
9. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة.
10. التحرير والتنوير: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م.
11. تفسير الشعراوي: لشعراوي، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم - القاهرة.
12. تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيبون - بيروت، ط1، 1419 هـ.
13. تفسير المراغي: المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط1، 365 هـ - 1946 م.

14. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج: الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر - دمشق، ط2، 1418هـ.
15. التفسير الوسيط للقرآن الكريم: طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، دار نضرة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1998م.
16. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي): السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.
17. الدر الرصين في تفسير سورة يس دراسة تحليلية موضوعية: الجميلي، الدكتور صديق خليل الصالح الجميلي، دار الكتب العلمية - بيروت.
18. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ.
19. سنن أبي داود: أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي - بيروت.
20. سنن الترمذي: الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، 1998م.
21. صحيح البخاري: البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.
22. فتح البيان في مقاصد القرآن: القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر - صيدا - بيروت، 1412هـ - 1992م.
23. في ظلال القرآن: قطب، سيد قطب إبراهيم (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق - بيروت - القاهرة، ط17، 1412-1992م.
24. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، ط3، 1407هـ.
25. لباب التأويل في معاني التنزيل: الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1415هـ..
26. لطائف الإشارات: القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري النيسابوري الشافعي (ت: 465هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط2، 2007م.
27. المخرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ابن عطية، أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: 546هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1422هـ - 2001م.
28. مسند الإمام أحمد بن حنبل: ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م.

29. مسند الدارمي: الدارمي، الإمام أبو مُحَمَّد عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْفَضْلِ الدَّارِمِيِّ (255 هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني للنشر والتوزيع - السعودية.
30. مصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّورِ: البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885 هـ)، مكتبة المعارف - الرياض، ط1، 1408 هـ - 1987 م.
31. معالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 510 هـ): تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1420 هـ.
32. معجم اللغة العربية المعاصرة: عمر، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424 هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط1، 1429 هـ - 2008 م.
33. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606 هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420 هـ.